قَلَما اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَالَ إِنا اللَّهُ مُبْتِلِيكُم بِنَهْرِ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ قَلْيسَ مِن إِي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى إِلَّلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّلا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيُومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّ لا ُقُو اللَّهِ كُم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ أي: لما تملُّك طالوت ببني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم، فلما فصل طالوت بجنود بني إسرائيل وكانوا عددا كثيرا وجما غفيرا، امتحنهم بأمر االله ليتبين الثابت المطمئن ممن ليس كذلك فقال: { إن االله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى } فهو عاص ولا يتبعنا لعدم صبره وثباته ولمعصيته { ومن لم يطعمه } أي: لم يشرب منه فإنه مني { إلا من اغترف غرفة بيده } فلا جناح عليه في ذلك، ولعل االله أن يجعل فيها بركة فتكفيه، وفي هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان، فعصى أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهى عنه، ورجعوا على أعقابهم ونكصوا عن قتال عدوهم وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم

على القتال الذي سيتطاول وتحصل فيه المشقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلا على االله، وتضرعا واستكانة وتبرؤا من حولهم وقوتهم، وزيادة صبر لقلتهم وكثرة عدوهم، فلهذا قال تعالى: { فلما جاوزه } أي: النهر { هو } أي: طالوت { والذين آمنوا معه } وهم الذين أطاعوا أمر االله ولم يشربوا من النهر الشرب المنهى عنه فرأوا... قلتهم وكثرة أعدائهم، قالوا أي: قال كثير منهم { لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده } لكثرتهم وعُددهم وعُددهم { قال الذين يظنون أنهم ملاقوا االله } أي: يستيقنون ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم ومطمئنين لخواطرهم، وآمرين لهم بالصبر { كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن االله } أي: بإرادته ومشيئته فالأمر الله تعالى، والعزيز من أعزه االله، والذليل من أذله االله، فلا تغنى الكثرة مع خذلانه، ولا تضر القلة مع نصره، { واالله مع الصابرين } بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب لمعونة االله صبر العبد الله، فوقعت موعظته في قلوبهم وأثرت معهم.